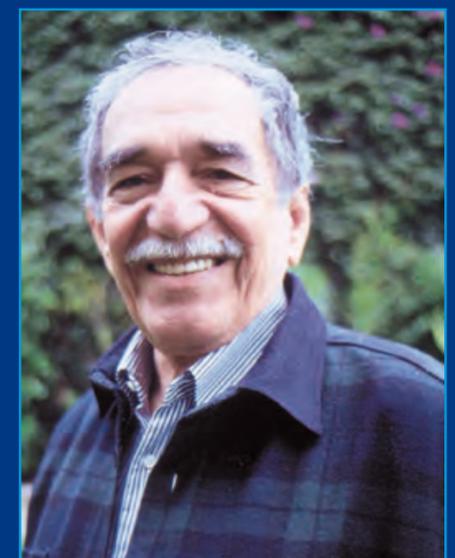




غابرييل غارسيا ماركيز

د. فؤاد عبد المطلب
جامعة جرش - الأردن



غابرييل غارسيا ماركيز

تمتاز أعمال الكاتب الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز بسحر خاص، فقد صنع من الكلمة الأدبية بالاسبانية روايات وقصصاً ستبقى خالدة في سجل الأدب العالمي. (مئة عام من العزلة)، (خريف البطيريك)، و(الحب في زمن الكوليرا)، والعديد من الروايات والقصص وسيناريوهات الأفلام والتحقيقات الصحفية قدمها ماركيز لقرائه في كثير من بلدان العالم. وعندما أعلن عن فوز ماركيز بجائزة نوبل للآداب لعام 1982، كانت أعماله قد ترجمت إلى لغات عدة. كان عدد كبير من المهتمين العرب قد قرؤوا روايته العظيمة (مئة عام من العزلة) التي عدت أهم رواية صدرت باللغة الاسبانية بعد رواية سرفانتس (دون كيشوت). التزم ماركيز بقضايا مجتمعه، والإنسان في العالم كله. وتدور موضوعات أعماله حول الشركات الاحتكارية وزراعة الموز والعلاقات الإنسانية بمختلف ألوانها وبخاصة المأساوية والعاطفية منها: وتبرز (ماكوندو) القرية أو المدينة التي تقع في طرف من أطراف كولومبيا المنسية كقاسم مشترك في رواياته، كما ينسحب ظلها على قصصه أيضاً، فماذا تمثل (ماكوندو) في الواقع العياني؟ أمي قريته (أراكاتاكا). أم كولومبيا، أم أمريكا اللاتينية؟ وتختلف الآراء والنظريات حول جوهر هذا المكان، الذي تتحرك فيه الشخصيات، وتتعاقد أو تتزامن الأحداث لتصبح فيه مسرحاً للحياة الفعلية. إن عالم ماركيز مفعم بالحركة النابضة والمعجزات والغرائب التي يتقبلها الجميع بمتعة ورضا.

تقاعد ماركيز من الحياة العامة لأسباب صحية، فقد أصابه مرض عضال الشفاء منه نادر الحدوث. وكان قد بعث مؤخراً برسالة وداع إلى أصدقائه ومعارفه، ثم تناقلتها وسائل الإعلام. استلمت هذه الرسالة من صديق عبر البريد الالكتروني ورأيت أن أنقل تأملات غابرييل ماركيز وتبصراته الجميلة في الحياة التي هي حقاً جديرة بأن تعاش. فقد كتب هذا العبقرى وهو يقول وداعاً إلى الأبد:

رسالة وداع

لو أن الرب ينسى برهة قصيرة أنني أصبحت رجلاً عجوزاً ويمنحني شيئاً من حياة جديدة، فإنني سأعيشها بكل جوارحي. حينئذ لن أفصح عن كل ما يدور في خاطري، لكنني على الأغلب سأفكر في كل ما أقوله سأقوم الأشياء لا من أجل قيمتها، بل من أجل معانيها. سأنام قليلاً، وأحلم كثيراً، ذلك لأنني أعرف أننا في كل دقيقة نغمض فيها أعيننا. نضيّع ستين ثانية من النور. سأدخل أرضاً أحجم الآخرون عن المضي فيها، وسأستيقظ عندما ينام الآخرون، سأنصت عندما يتكلم الآخرون، وإلا فكيف أستمتع ببوطة الشوكلاة المتلجة. لو يمنحني الله نفحة من حياه جديدة،

فإنني سألبس ثياباً بسيطة، وسألقي بنفسي في وجه الشمس، غير تارك تحت رحمتها جسدي العاري فحسب بل وروحي أيضاً. يا رب، لو كنتُ حينئذٍ أملك الشجاعة، لكتبت كراهيتي على الثلج. وانتظرت حتى تمحوها أشعة الشمس. وفوق النجوم سأكتب قصيدة مثل بينديتي بألوان حُلم من أحلام فان غوخ، وأهدي أغنية سيرات* للقم، أغنيها ليلاً في الهواء الطلق،

مثل عاشق تحت نافذة محبوبته.

سأسقي الأوراد بدموعي،

كي أشعر بوخز شوكةا،

ويتقبل بتلاتها الحمراء.

لو يمنحني الله شيئاً من حياة...

فلن أدع يوماً واحداً يمر دون أن أقول للناس

إني أحب أن أحبهم

وسأقتع كل امرأة ورجل

أنهم هم من أفضل،

وأخبرهم إلى أي مدى أحبهم ولن أنساهم.

وسأثبت للناس كم هم مخطئون عندما يظنون

أنهم يتوقفون عن الحب عندما يكبرون في السن،

وأنهم حقيقة لا يكبرون في السن إلا عندما يتوقفون عن

الحب!

للطفل سأقدمُ أجنحة،

لكنني سأتركه يتعلم وحده كيف يطير.

وسأقول للعجوز إن الموت لا يأتي عندما يبلغ من العمر عتياً،

لكنه يأتي عندما يبدأ بالنسيان.

لقد تعلمت الكثير منكم جميعاً أيها الناس...

فقد تعلمت أن كلاً منا يرغب في العيش على قمة الجبل،

ولكن من دون أن يعرف أن السعادة تكمن في محاولة تسلقه.

وتعلمت أن الطفل الوليد عندما يقبض

أول مرة بكفه الغضة على أصبع والده،

فإنه يأسره إلى الأبد.

وتعلمت أن للمرء الحق في أن ينظر إلى إنسان أدنى منه

فقط عندما يكون واجباً عليه مساعدته للوقوف على

قدميه.

ولكن لا يغدو لهذه الأشياء حقيقة آية قيمه،

عندما أقوم بوضعها في هذه الحقيبة الصغيرة

وقئتُ ساموت وأنا غير سعيد.

* السرينادا: لحن يُعرف أو بغني ليلاً Serenade في الهواء الطلق، وبخاصة من قبل عاشق تحت نافذة محبوبته (يعرف أو يغنى سيرينادا)



الفراق والغربة

محمد حمدان الرقب - الأردن

الاتحاد والحلول به.

يصعب على هؤلاء أن يتقبلوا تصاريح الحياة بروح رياضية، وأن يعددوا الظروف أو الحبيب الطاعن. إن السبب الحقيقي الكامن خلف نظرهم هذا هو رغبتهم في علاقة طويلة الأمد تمتد طوال العمر، ولذا لا يتفهمون الظروف ولا الأسباب التي تحول دون الالتقاء الأبدي بالحبيب في حياة واحدة قوامها جسدان بروح واحدة انصهرت في حب جارف لا يقبل التراجع. وقد يكون حب التملك سبباً آخر في نظرهم تلك، فمشاعر الغيرة قد تكون طافحة فيهم، فهم قد يتنازلون عن أي شيء مقابل عدم إزعاج الطرف الآخر، فهو يخافون من أي مشكلة أو معضلة تذهب به إلى حيث لا مآب، ومع ذلك نجدهم يتشبثون كثيراً بالطرف الآخر ويرغبون في امتلاكهم امتلاكاً كاملاً، فالحبيب ملك لهم وحدهم لا يجوز أن يشاركتهم فيهم أحد.

ولكن إن وقع الفراق فحقاً إن الآثار التي سيخلفها فيهم لن يستطيعوا بسهولة أن يتخلصوا منها، فالحياة بعد أن كانت كلها وقفاً عليهم، لا يزورون مكاناً إلا وصورتهم منتشرة فيه، منسدلة من السماء، ومبتوثة على جنبات الطرق. أمام أعينهم. على أيمانهم وشمائلهم. وأصواتهم يسمعونها في كل مكان، في خريف الماء ووقع الأمطار، وشجو البليل، وزقزقة العصفير، وهديل الحمام، وروائح عطرهم تفوح في ثنايا الأنفاس لكانها معلقة بأنوفهم. كيف يمكن لهم أن يتخلصوا من كل هذه الذاكرة التي هي تاريخهم! أينحلى أحد عن تاريخه.؟ فيدخلون في متاهات الاكتئاب والحياة الصوفية المنعزلة. ويصابون بحدة رومانكية كامنة، فضلاً عن حدتهم الأسيلة فيهم. فيقل تواصلهم بالعالم الخارجي، ويأنفون من كل شيء، ويقبعون في زاوية مظلمة يتأملون أنفسهم ويتحصنونها من داخلهم إلى داخلها. إنهم حزينون في حياتهم الطبيعية، فكيف الحال وقد أصبحوا بنصف حياة أو بغيب...؟؟

بعد أن ظفروا بالمحبيب ووجدوا ما يسقي عطش قلوبهم، ويروي غلتهم، وتستقر حياتهم وتستحيل إلى جمالٍ وغبطة

وسرور، فإذا هو يرحل، ويهدم سعادتهم على عروش قلوبهم، ويقطع السبيل عليهم-سبيل الاتحاد الكامل والحلول التام. وهنا يتولد الوجد؛ الذي عادة ما ينبجس من شوقٍ إلى الغائب، أو أسف على فائت، أو ندم على ماضٍ كما جاء في الملح للسرّاج الطوسي.

ولهذا نجد لشخصية ابن حزم الأندلسي مثلاً تحليلاً في هذا السياق إذا علمنا أنه لم يغتسل سبعة أشهر كمدًا على موت زوجته (نعم) بعد أن ملأت عليه حياته، فهي كانت أمنية المتمني وغاية الحسن خلقتاً وخلقاً، وعقلاً وعفةً، وأخذ في بكاء طويل مع أنه كان معروفاً بأكل الكندر وهو طعام تجمد معه العيتان.

فإذا عرفنا هذا تبين لنا عرَضُه في (طوق الحمامة) لهذه الحادثة (الفراق) بعد مدة طويلة وكيف أنه لم ينس الأيام الخوالي معها؛ حيث يقول "وإن حنيني إلى كل عهد تقدم ليغصني بالطعام ويشرقتي بالماء... وما انتفعت بعيش ولا فارقتي الإطراق والانفلاق مُدَّ ذقتُ طعمَ فراق الأُحبة، وأنه لشجى يعتادني وولوع همّ ما ينفك يطرقني، ولقد نغصت ذكري ما مضى كل عيش استأنفته، واني لقتيل الهموم في عداد الأحياء، ودفين الأسي بين أهل الدنيا".

إذن، كانت زوجته في عداد الطاعنين، والطاعن أصبح جزءاً من الماضي، فمحور حياته لم يتحول إلا إلى الأسوأ، فهو يدور حول نعم، وهذا شأن من يطلب حباً عفيفاً يتجاوز الجمال الجسدي ليصل إلى الجمال الروحي، فالحب هو حب الخلود، مثلما هو حب الخير.

وهذا الأمر حصل مع شعراء الغزل العذري، ولعلنا نستذكر حادثة وقعت مع مجنون ليلى حينما كان في أحد المرات معاً يتشاكيان لهيب الحب وناره، فأراد أن يختبرها، وطلب منها أن تمكته من نفسها، فرضت ذلك رفضاً شديداً، فقال إذ ذاك وقد استراح لعنة الحب بينها، والله لو وافقت لتركك منذ هذه اللحظة.

إذن نفهم مما سبق أن الحدة الرومانتيكية عند هذا الصنف من الأشخاص تكون هي المسيرة لدفة حياتهم بعد الفراق، ذلك أنّ الفراق قد حال بين الهدف النبيل والمبتغى الأعلى في الدنيا وهو الظفر بالمحبيب والاتحاد معه. فحقّ مثل هؤلاء أن يعزلوا ويحسوا بفرحة روحية تسري في دمائهم.